SİİRT ÜNİVERSİTESİ İLAHİYAT FAKÜLTESİ DERGİSİ • CİLT: 2 • SAYI 2 • s. 53-68

استعمال الفرزدق لـ(حيث)

الدكتور الأستاذ المشارك: مصطفى قرقز
Mustafa KIRKIZ*

المدرّس المحاضر: إسلام رشيد جانكير
Aslam JANKIR*

الملخص

استعمل الفرزدق (حيثُ) بصورٍ مختلفة دون النظرِ أو الالتفات إلى شيوعِ الاستعمال أو نُدْرته، وهذا دَيدَنُ الفرزدقِ وأسلوبُه الهاجم على المعنى حتّى وإنْ خرجَ على ترتيبٍ أو قاعدةٍ، فَرأينا (حيثُ) في شعره باستعمالات شتّى منها:

مجيئُها مضَافةً إلى الجملةِ على رأي الجمهورِ، وشيوعِ الاستعمال،

* Doç. Dr. Bingöl Üniversitesi, İlahiyat Fakültesi [mkirkiz@hotmail.com]
** Öğretmen, Mardin Artuklu Üni., Edebiyat Fak. [aslamrshid1@gmail.com].

ومنها مجيئُها مضافةً إلى المفردِ وهو قليلٌ، وجاءت (حيثُ) مجرورةً بحروف جرٍّ (الباء، في، على، مِن، إلى).

فتتبّعنا هذه الاستعمالات واستشهدنا بأبياته وعارضناها بأقوال الفصحاء واللّغويين والنحاة.

ونظراً للاختلاف الذي جرى بين العلماء في استعمالِ حيث رأيتُ أنّ من الأهمّيّة كتابةَ بحثٍ في هذا الاستعمال ووجوهه، وقد وقع الاختيار على شعر الفرزدق لاشتماله على صورٍ متعدّدة لحيثُ واستعمالها، إضافةً إلى أنّ الفرزدق من شعراء الاحتجاج؛ فقد كُثُرَ دَوَرَانُ أبياته في كتب النحاة واللغويّين شواهدَ على الفصاحة اللغويّة، والقواعد النحويّة.

اعتمدتُ في البحثِ على المنهج الوصفيِّ التحليليِّ، وقدّمتُ البحث بتمهيدٍ اشتمل على لمحةٍ سريعة إلى حياة الفرزدق وشعره؛ لضرورة ذلك في فهم استعمال الفرزدق لحيثُ، ثمّ تركّز البحث على استعمال الفرزدق لحيث؛ صُلْبِ البحث. وقد أدرتُ الاستعمال على عناوين متنوّعة بحسب الاستعمال على النحو الآتي:

- استعمال حيث للمكان.
- دخول حروف الجر على حيث.
- إضافة حيث إلى المفرد.

وأبديتُ رأيي بعدَ ذكر الاستعمال ولا سيّما في إكثار الفرزدق من الاستعمال النادر، ثمّ ذكرتُ نتائجَ البحث ومصادره ومراجعه.

Conclusion:

el-Farazdak used *haytho* (حيث) with different pictures without looking at or returning to common usage or rarity, and this is el-Farazdak' habit and attacking method on the meaning even though he got away from the order or rule. And we saw *haytho* (حيث) in his poetry with different usage as:

According to the audience, its coming as added to the sentence, and the common of the usage, and its coming as added to the singular and it is less, *haytho* ((حيثcame trailed by the preposition as:ba (ب) fi (في) ala(على) min (من) ila (إلى)..

I followed this usage and I witnessed (gave) with his lines of poetry and objected them with linguists and grammarians' words.

Keywords

Haytho, Al-farazdaq, Preposition**, usage**

Özet:

el-Ferezdak *haysu* (حيث) mekan zarfının yaygın ve bilinen kullanımını dikkate almadan kullanmıştır. Bu üslup ve kullanım herhangi bir gramer kuralına aykırılık teşkil etse bile el-Ferezdak'ın sıklıkla başvurduğu yöntemlerden biridir. Onun şiirlerinde aşağıdaki örneklerde görüldüğü gibi (حيث) zarfını farklı şekillerde kullandığı görülmektedir:

- Çoğunluğun da esas aldığı ve yaygın olarak kullandığı cümleye izafe olması durumu,
- Çok nadir bir kullanıma sahip olup müfrede izafe şeklinde kullanılması durumu,
- bâ (ب), fî (في), 'elâ (على), min (من), ilâ (الى) gibi harfi cerlerden sonra mecrûr durumunda kullanması.

Bu makalede el-Ferezdak'ın yukarıda zikredilen kullanım şekilleri ele alınacak, beyitlerinden örnekler alınarak, dil ve gramer âlimlerinin görüşleri ışığında açıklamaya çalıştım.

Anahtar Kelimeler
haysu, kullanmak, el-Ferezdak, harfi cer.

تمهيد:

لَمْحَةٌ إلى حياةِ الفرزدق وأُسلوبِه الشِّعْرِيِّ:

هو هَمّام بنُ غالبٍ ويكنّى بأبي فراس، والفرزدق لقبُه، وقيل في سبب تلقيبه بهذا للقب أقوال كثيرة، ولعلّ السبب الأقرب إلى الصواب هو الغلظةُ والجُهم الذي في وجهه، واختُلِفَ في أصل كلمة الفرزدق هل هي عربية من: فرز ودقّ، أم هي فارسيّة مُعَرّبة.[1]

ولد في خلافة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه في حدود سنة 20 هـ, وعاش في كنف والده فأحسن تثقيفَهُ وتهذيبَهُ وروّاه الشعرَ وكلامَ العربِ، نهلَ الفصاحةَ من البادية ومن قبيلة تميم؛ فقد كانت تميمُ من أفصح العربِ، فأحاطَ بسرِّ العربيّة وأُوتيَ القدرةَ على تشقيق الكلام فما زالَ وفيّاً للبادية متطبِّعاً بطابَعها يحنّ إليها ويُفضّلها على سائر الأماكن التي نعُمَ بها.

ذاع صِيتُه في الأصقاعِ واشتُهِرَ بنقائضه مع جرير، وتوفي الفرزدق سنة 110هـ على ماذهبَ اليه أكثر الباحثين، وقيل إنّ وفاتَه كانت سنة 114هـ.[2]

1 انظر الفحام, أحمد شاكر, الفرزدق, دار الفكر, دمشق 1977، ص: 116- 205.

2 انظر الفرزدق، شرح ديوان الفرزدق, ضبط معانيه وشرحه إيليا الحاوي ، دار الكتاب اللبناني, بيروت 1983م. ص: 5, والفحام, ص: 116- 205.

أسلوبه الشعريّ:

حافظ الفرزدقُ على خشونته البدويّة؛ فكان أسلوبهُ صدًى للطبيعة البدويّة، ولم يؤثّر الإسلام في أسلوبه الشعريّ كثيراً؛ فقد كانَ الفرزدقُ امتداداً للشعراء الجاهليّين وفصاحتهم وجزالة ألفاظهم وغرابتها، ولعلّ الفرزدقَ آثر هذه الغرابة في شعره والنُّدْرةَ حتّى وُصِفَ أكثرُ أشعاره بالتعقيد اللفظيّ الذي حرّك في اللّغويّينَ والنحويّينَ دافعَ التأويلِ والاحتجاج، وظهر الفرزدقُ متحدّياً لهم، وقد قال: «عليّ أنْ أقولَ وعليكم أنْ تحتجّوا».فلا خفاء في سعة لغة شاعرنا هذا وسعة اطّلاعه ومعرفته بأيام العرب وأشعارهم؛ فقد كان حافظةً وراويةً حتّى قيلَ: لولا الفرزدقُ لضاع نصفُ أخبار الناس، وقيل أيضاً: لولا شعرُ الفرزدقِ لذهبَ ثلث لغة العرب.

استعمال الفرزدق لـ(حيث):

)حيثُ(ظرفُ مكانٍ مبهم مثلُ (أينَ) في الإبهام والمعنى، قال تعالى: ((ولا يفلحُ الساحرُ حيث أتى)) [طه:69][3].وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ((أين أتى))[4] والعرب تقول: جئت من أين لا تعلم، أي: من حيث لا تعلم[5].

وقد تكون اسماً وهي في الأصل اسم مكان[6]، وهذا ما أجمع عليه النّحاة، وقد تَرِدُ للزّمانِ كما سيأتي، وقد تطوّر استعمال هذه المعاني و كُتِبَتْ فيه أبحاثٌ وأهمّها بحثٌ بعنوان (حيث بين ثبات قواعد اللغة العربيّة وتَطَوّر صور الاستعمال) لعودة خليل أبو عودة وهو بحثٌ جليل الفائدة، ومِمّا أثار اهتمامي استعمالُ)حيثُ(في شعر الفرزدقِ بصور متنوّعة, فقد جاءت (حيث) للمكان في استعمال الفرزدق على ما هو شائع بين النحاة، مع دخول بعض من حروف الجرّ (من – إلى – في – على – الباء) عليها، وممّا زادَ الاهتمامَ بالبحثِ هو ورودُ (حيثُ) في شعر الفرزدَق مضافةً إلى المفرد، وهذا ما يُخالفُ إجماعَ النحاةِ على إضافتها إلى الجملةِ لا إلى المفردِ. كُلُّ أولئكَ كان دافعاً ومُحَرِّكاً للبحثِ في استعمالِ (حيثُ) في شعر

3 انظر: الموزعي, نور الدين, مصابيح المغاني في حروف المعاني، تحقيق عائض العمري، دار المنار، القاهرة 1414هـ – 1993م. ص: 242.

4 انظر الأندلسي, أبو حيّان, تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل عبد الموجود ومحمد عوض، دار الكتب العلمية, بيروت 1413هـ – 1993م. 261/1.

5 انظر الجوهري, إسماعيل بن حماد, الصحاح, تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين, ط3، بيروت 1304هـ 1984–م. (حيث).

6 انظر قباوة, فخرالدين, إعراب الجمل وأشباه الجمل، دار القلم العربي, ط5, حلب 1409هـ، 1989. ص:220

الفرزدق، ولا يخفى على ذي بالٍ اسمٌ في الشعر العربيّ كاسم الفرزدق فـ»قد كانَ الفرزدقُ جبلَ شعرٍ»، وقد كانَ شاغلَ علماءِ النّحوِ في عصره كابنِ أبي إسحق مِمّنْ كانوا يتناولون شعرَ الفرزدقِ بالنقد والتمحيص.

وظهرت لغاتٌ في(حيث) فقد وردَ عن العربِ (حيثُ) وهي اللغةُ الشهيرةُ الشائعةُ، و(حوثُ) وهي لغةُ طيِّئٍ[7].

بُنيت)حيثُ(لتضمنها معنى الشرط إن كانت للشرط، نحو: حيثما تكنْ أكنْ، وذلك لأنها تشبه الحرف في الافتقار؛ إذ لا تُستعمل إلّا مضافةً إنْ لم تكن للشرط.

وإنما بنيت على الضم، تشبيها لها بـ (قبلُ)؛ لأنها تضاف إلى الجملة، والإضافة في الحقيقة إنما هي إلى المفرد، فكأنها مقطوعة عن الإضافة[8]فأُلحقتْ بالغايات و»هو أجود القولَين» على زَعْم المبرِّد[9]، وقال ابن هشام :» وفي الثّاء فيهما الضّمّ تشبيهاً بالغايات؛ لأنّ الإضافة إلى الجملة كَلَا إضافة؛ لأنّ أثَرَهَا وهو الجَرُّ لا يظهر»[10].

ومن أمثلته قوله تعالى: ((اسْكُنْ أَنت وزَوجُكَ الْجَنّةَ وكُلا مِنها رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا)) [البقرة: 35].

وقوله تعال: ((واقْتلوهُمْ حيثُ ثَقِفْتُمُوهمْ...))[البقرة: 191].

فـ (حيثُ) في هاتين الآيتين: اسم مبني على الضم في محل نصب ظرف مكان، وهو مضاف.

ومنهم مَنْ بناها على الفتحِ فقالَ:)حيثَ(. وعِلّةُ الفتحِ على ما ذهبَ إليه ابنُ السّرّاجِ استثقالُ الكسرةِ، وقال ابن هشام: والفتحُ للتخفيف»[11].

ومنهم مَن بناها على الكسرِ أيضاً فقال)حيثِ). وعلى هذا قرأ مَنْ قرأَ بالكسرِ قولَهُ تعالى: « سنستدرجُهم مِنْ حيثِ لايعلمونَ»[الأعراف:182].

وتُجرُّ (حيث) أحيانا بحرف الجر (مِنْ) فتكون مبنيةً على الضم في محل جر.

ومن أمثلتها قوله تعالى: ((وأَخْرِجوهم مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ)) [البقرة: 191].

7 انظر الأنصاري, ابن هشام, مغني اللبيب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية 1411هـ- 1991م. 2/ 298.

8 انظر: ابن عقيل, بهاء الدين, المساعد على تسهيل الفوائد، تحقيق محمد كامل بركات، دار الفكر, دمشق 1400هـ - 1980م. /529.

9 انظر المبرد, أبو العباس محمد بن يزيد, المقتضب، تحقيق عبد الخالق عضيمة, عالم الكتب. 178/3.

10 انظر ابن هشام, المغني، 2/ 298.

11 المصدر نفسه، 298/2.

وقوله تعالى: ((سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُون)) [القلم: 44]

وقوله تعالى:((كذَّبَ الذين من قبلهم فأتاهم العذابُ من حيثُ لايشعرون)) [الزمر:25].

ومن العربِ مَنْ يُعربُ)حيثُ(12 استشهاداً بهذه الآية؛ لكنّ الصّوابَ هو البناء لا الإعراب، وقد خُرّجت قراءةُ الكسرِ هذه على بناءِ (حيث) على الكسرِ وليس الإعراب.

وذهب أبو علي الفارسي إلى أن (حيثُ) قد تقع مفعولاً به، وجعل من ذلك قوله تعالى: (اللهُ أَعْلَمُ حيثُ يجعلُ رسالَتَهُ)[الأنعام: 124]؛ لأن المعنى أن الله يعلم المكان المستحق لوضع الرسالة فيه، وليس المراد أنه تعالى يعلم شيئاً في المكان، وذكر أن ناصبها (يعلم) محذوفٌ مدلولٌ عليه بـ (أعلمُ)، لا (أعلمُ) نفسه؛ لأن أفعل التفضيل لا ينصب المفعول به13.

ويرى أبو البقاء العكبري أنّ (حيث) في قوله تعالى: (اللهُ أَعْلَمُ حيثُ يجعلُ رسالَتَهُ) وقعت مفعولاً به، وهو بذلك يتفق مع ما قاله الفارسي في الآية نفسها14.

وذهب بعض العلماء إلى تأويل(أعلمُ) بعالم، فقد ينسب العمل إليه بهذا الطريق، ولا يحتاج إلى تقدير عامل غيره15.

ووردتْ (حيث) للزّمان في قولِ طرفة:

للفَتَى عَقْلٌ يَعِيْشُ بِهِ حيثُ تُهدي ساقَهُ قَدَمُه16

إذِ التّقدير: في زمَنِ هدايته. والتقديرُ الآخَرُ هو أنّ حيثُ للمكان.

وجاءت (حيث) مبتدأ في قول الأخطل:

فإنّا حيثُ حَلَّ المجدُ يومَاً حللناه وسرنا حيثُ سارا17

وجاءت (حيث) اسماً في محلّ جَرٍّ مضافا إليه واستشهدَ بقول زهير:

فَشَدَّ ولم تَفْزَعْ بُيوتٌ كثيرةٌ لدى حيثُ ألْقَتْ رَحْلَهَا أمُّ قَشْعَمِ 18

12 المصدر نفسه ، ص:27.

13 المصدر نفسه ،131/1 فما بعدها، والجيش, ناظر, تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، تحقيق علي فاخر وآخرين ، دار السلام، القاهرة 1428هـ – 2007م.ص: 2023، و السيوطي, همع الهوامع، تحقيق أحمد شمس الدين, دار الكتب العلمية بيروت 1418هـ - 1998م. 212/1.

14 انظر العكبري، عبدالله بن الحسين، التبيان في إعراب القرآن, تحقيق علي البجاوي، عيسى البابي الحلبي، القاهرة. 1 /260؛ و الأنصاري, ابن هشام, أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت 177/1.

15 انظر الجيش، تمهيد القواعد, ص: 2023.

16 انظر: قباوة, إعراب الجمل, ص220.

17 انظر الفرزدق, الديوان، ص:726.

18 المصدر نفسه:17.

ولخّص السّيوطيُّ القول في (حيث)، فقال:» (حيث) للمكان مثلّثاً، و(حَوثُ) وإعرابُها لغةٌ، وتلزمُ الإضافةَ للجُملة، ونَدَرَ للمُفْرَد وقَاسَهُ الكِسَائيّ، وتَرْكُها أنْدَرُ فتعوّض «ما»، وجوّز الأخفشُ وُقوعَها للزّمان، وتصّرُّفها نادرٌ وأنكرهُ أبو حَيَّان، وفي وقوعها اسمَ إنّ ومفعولاً خلافٌ، وزعمها الزّجّاجُ مَوصولةً»[19].

أ– استعمال (حيث) للمكان:

وهذا هو الأصل في حيثُ، كما سبقت الإشارة إليها فيما قبل؛ فهي تستعملُ ظرفاً للمكانِ على اتّفاق بين النحاة؛ فسيبويه يقولُ: « أمّا حيثُ فمكانٌ بمنزلةِ قولك: هو في المكان الذي فيه زيدٌ»[20].

وقال المبرّدُ: « حيثُ اسم من أسماء المكانِ مبهمٌ يفسّره ما يُضافُ إليه فحيثُ في المكان كحين في الزمان..»[21]. وقال صاحب قاموس الأدوات عن حيث:» ظرف مكان مبنيّ على الضّمِّ في مَحلِّ نصْب»[22].

وقد استعمل الفرزدقُ (حيثُ) في شعره على هذا المعنى وهو المكان، وجاءت أبياتٌ كثيرةٌ في شعرِه على هذا الاستعمال نذكر بعضها على سبيل المثالِ لا الحصْرِ.

قال الفرزدقُ:

فلعلّ باهِلَةَ بنَ يَعْصُرَ مِثْلُنا حيثُ التقى بمنًى مُناخُ الأرْكُبِ[23]

وقال:

يا بن المَرَاغَةِ إنَّ اللهَ أنْزَلَني حيثُ التَقَتْ في الذّرى البيضُ الْمناجِيبُ[24]

وقال:

بِذي الغافِ مِنْ وادي عُمانَ فأصبَحَتْ دماؤهم يُجرى بها حيث تشخِبُ[25]

وقال:

19 انظر السيوطي، همع الهوامع, 152/2.

20 انظر سيبويه، الكتاب, 230/4.

21 انظر المبرد،المقتضب, 54/2.

22 انظر حسين، سرحان, قاموس الأدوات, مكتبة الإيمان, المنصورة 2007.، ص: 65.

23 انظر الفرزدق, الديوان، 60/1.

24 المصدر نفسه، 119/1.

25 المصدر نفسه 126/1.

فلاقَتْ حيثُ كانَتْ دمَاً ومكاناً حديثَ العَهْدِ قَدْ سَدِكَ الغُبارا[26]

وقالَ:

كَلَوْنِ الأرضِ مَرْقَدٌ حيثُ يُضْحِي بِأعْلَى التّلْعِ أضْمَرَتِ الحِذَارا[27]

وقالَ:

أبا صالحٍ حيثُ انْتَقَيْنا دِمَاغَهُ منَ الرَّأسِ عنْ ضاحٍ مَفَارِقُهُ حَمرِ[28]

وقد تَرِدُ للزّمانِ على ما وجّهَ الأخفش بيتَ طَرفة:

للفَتَى عَقْلٌ يَعِيْشُ به حيثُ تُهدي ساقَهُ قَدَمُه [29]

إلّا أنّ البيت يحتمِلُ المكانَ أيضاً؛ لذا فدلالةُ (حيث) للزمان نادرةٌ.

ب- دخول حروف الجرّ على (حيث):

بيّنتُ أنّ حيث اسمٌ ولمّا كان كذلك فدخول حرف الجرّ عليه مسموحٌ به، وقد يختلفُ نسبة دخول حرف جرّ عن آخر وسأذكرُ ذلك على النّحو الآتي:

دخول حرف الجرّ (مِنْ) على (حيثُ):

استعملَ الفرزدقُ (حيثُ) مع حرف الجرّ (من) في سبعةِ مَوَاضع من شِعْرِه، وهذا هو الاستعمال الغالبُ على حيث فقد ندَرَ جَرُّ (حيثُ) بغير (من).

قال الفرزدق:

ورُبَّ ابنِ عَمٍّ حاضرِ السِّرِّ خَيرُهُ مَعَ النّجْمِ مِنْ حيثُ استَقَلّتْ كَوَاكِبُه[30]

وقالَ:

بَلَغْنَ الشمسَ حيثُ تكونُ شرْقاً ومَسْقَطَ قَرْنِها مِنْ حيثُ غابا[31]

وقال:

وما زِلْتُ أُزْجِي الطَّرْفَ مِنْ حَيْثُ يَمّمَتْ

[26] المصدر نفسه، 324/1.

[27] المصدر نفسه،323/1.

[28] المصدر نفسه ،301/1.

[29] انظر ابن يعيش، شرح المفصّل, إدارة الطبعة المنيرية، مصر. 92/4، و قباوة، ص: 220.

[30] انظر الفرزدق, الديوان، 60/1.

[31] المصدر نفسه، 174/1.

مِنَ الأرضِ حتّى ردّ عَيْني حَسيرُها[32]

وقال:

وأَكْوِي خَيَاشِيمَ الصُّدَاعِ وأبتغي مَجامِعَ داءِ الرّأسِ مِنْ حيثُ يَنْقعُ[33]

وقال:

إذا هبطَ النّاسُ الْمُحَصَّبَ مِنْ مِنىً عَشِيّةَ يومِ النَّحْرِ مِنْ حيثُ عَرَّفُوا[34]

وقال:

متى يُمْنَعُ الطّائيُّ مِنْ حَيثُ يَرْتَقي يَكُنْ مَغْنَماً مِنْ طَيِّءٍ في الْمَقاسِمِ[35]

وقال:

مَنْ يجْرَحا فَكَأنّما يُرْمَى به مِنْ حَيثُ يَرْتَفِعُ الشَّبوبَ الأعْصَمُ[36]

وهذا الاستعمال شائعٌ في استعمال العرب, ووَرَدَ في مصادر العربيّة، فقد جاء في القرآنِ الكريم: «وأتاهم العذابُ من حيثُ لا يشعرون»[النحل:2]، وقال تعالى: « سنستدرجهم من حيثُ لا يَعْلَمُون»[الأعراف:182].

وقال أبو العتاهية:

وقَدْ يَهْلكُ الإنسانُ مِنْ بابِ أمْنِه ويَنْجُو بإذنِ الله مِنْ حيثُ يَحْذَرُ[37]

ولا يخفى أن (حيثُ) في هذه المواضع، ظرفٌ مبني على الضم في محل جر بحرف الجر.

دخول (إلى) على (حيث):

كَثُر استعمال الفرزدق لـ(حيث) مجرورة بـ(إلى) في شعره مع أنّ دخول (إلى) على (حيث) قليلٌ في العربيّة، فقد استعملها الفرزدق في ثلاثة عشر موضعاً من شعره:

قال الفرزدق:

ومثلك قد أتعبْتُ حتّى أنَحْتُها إلى حيثُ أثْرَتْ مِنْ قُصيٍّ رِجالُها[38]

32 المصدر نفسه، 595/1.

33 المصدر نفسه، 45/2.

34 –المصدر نفسه، 127/2.

35 انظر الفرزدق، الديوان، 506/2.

36 انظر الفرزدق، الديوان، 525/2.

37 انظر البغدادي, عبد القادر, خزانة الأدب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ط5, القاهرة 1418هـ– 1997م. 172/8.

38 انظر الفرزدق, الديوان 2/ 309

إلى حيثُ صارَتْ مِنْ لؤَيِّ بنِ غالِبٍ إلى بيتهِ أحسابُها وظِلالُها[39]

وقال:

وكيفَ تلاقي دارِماً حيثُ تَلتقي ذُراها إلى حيثُ النّجومِ التوائمِ[40]

وقال:

هَدْيٍ تُسَاقُ إلى حيثُ الدّماءُ لهُ يَبْلُلْنَ مِنْ عَلَقِ الأجْوَافِ كَتّانا [41]

وقال:

وأنتَ امرؤٌ من ذُهْلِ شِيبانَ تَرْتقي إلى حيثُ يَنْمي مَجْدُها من سمائها[42]

وقال:

رأيتُ أبانَ بنَ الوليدِ نَمَتْ بهِ إلى حيثُ يعلو في السماء سَحَابُها[43]

وقال:

إلى حيثُ مَدَّ المُلْكُ أطْنابَ بيتهِ
على ابنِ أبي الأعياصِ في المنزلِ الرّحْبِ[44]

وقال:

إذا هي أدّتْني إلى حيثُ تَلْتقي طوالِبُ حاجاتٍ بَعيدٍ مَسِيرُها [45]

وقال:

إلى حيثُ تَلْقاني تميمٌ إذا بَدَتْ ورَدْتُ على قَوْمٍ عُدَاةٍ لِتُنْصَرَا [46]

وقال:

مُنِعْنَ ويَسْتَحْيِيْنَ بعدَ فِرارِهم إلى حيثُ لِلْأولادِ يُطْوى صَغيرُها [47]

وقال:

وكِلتاهما فينا إلى حيثُ تَلْتقي عصائبُ لاقى بينهنّ المُعرّفُ [48]

[39] المصدر نفسه 2/ 320
[40] المصدر نفسه 2/ 570
[41] المصدر نفسه 2/ 599
[42] المصدر نفسه 21/1
[43] المصدر نفسه 1/ 100.
[44] المصدر نفسه 1/ 131.
[45] المصدر نفسه 1/ 410.
[46] المصدر نفسه 1/ 560.
[47] المصدر نفسه 595/1.
[48] المصدر نفسه 124/2.

وقال:

وما من بلاءٍ مثلُ نَفْسٍ رَدَدْتَها إلى حيثُ كانتْ وهي عندَ المُحَنّقِ [49]

وقال:

نَماهُ أبو موسى إلى حيثُ تنتهي منَ الأرضِ منْ دونِ السّماءِ جبالُها[50]

وأرى ألّا مبرّرَ للعلماء بعدَ اتساع الفرزدقِ في هذا الاستعمال في نعتهم إيّاهُ بالندرة! ألم يستشهد الكوفيّون بالبيت الفرْد؟!

دخول الباء على حيث:

واستعمل الفرزدق حرف الجرّ الباء مع حيث وهو نادرٌ فقد قال صاحب همع الهوامع:» وندر جرّها بالباء»[51]، واستشهد بشطر بيتٍ لم يُعرَفْ تتمّتُه:

كان منّا بحيثُ يُعْكي الإزارُ.....[52]

وخرج هذا الاستعمال عند الفرزدق من هذا الحكم؛ أي النادر، فقد ورد دخول حرف الجرّ الباء على حيث في ثمانية مواضعَ؛ قال الفرزدق:

1- ألم يأتِ منّا رَبُّ كُلِّ قَبيلَةٍ بحيثُ حِمَارُ القَومِ يُلْقَى حِصَابُها[53]

وقال:

2- فَطَافَتْ بِالْهَبِيرِ بِحَيْثُ كانتْ بِـدِرَّتِـهـا تَعَهَّـدَهُ مِرَارا[54]

وقال:

3- نَمَى بِكَ مِنْ فَرْعَيْ رَبيعةَ لِلْعُلا بحيثُ يَرُدُّ الطَّرْفَ للعينِ ناظِرُه[55]

وقال:

4- كأنّ نَقاً مِن عَالِجٍ أَزْرَتْ بِهِ بحيثُ الْتَقَتْ أَوْرَاكُها وخُصُورُها[56]

وقال:

[49] المصدر نفسه 160/2.

[50] المصدر نفسه 243/2

[51] انظر: السيوطي 2/ 153، و حمودة,فتحي بيومة, ما فات الإنصاف من مسائل الخلاف, ص99

[52] انظر: السيوطي 2/ 153

[53] انظر الفرزدق, الديوان 109/1

[54] المصدر نفسه 324/1

[55] المصدر نفسه 522/1

[56] المصدر نفسه 585/1

5- فأصْبَحْتُ قدْ كادَتْ بُيُوتي يَنَالُها بِحَيْثُ انتَهَى سَيْلُ التِّلاعِ الدّوَافِعِ[57]

وقال:

6- وقد عَلِمتْ ذاكَ البَرِيَّةُ كُلُّها بِحَيْثُ الْتَقَتْ رُكْبَانُها وَرِجالُها[58]

وقال:

7- ورَدِّي السَّوطَ منكِ بِحَيثُ لاقى لكِ الحَقَبُ الوَضينَ بحيثُ جالا[59]

وقال:

8- فأصْبَحَ مَطْرُوحاً وراءَ غُثائه بِحَيثُ التقى مِنْ ناجخِ البحرِ ساحِلُه[60]

وهذا يدلُّ على أنّ الفرزدق، وهو العالم بألسنة العرب، لم يرَ ضيراً في هذا الاستعمال، وأنّ عنده من الأدلّة الفصيحة على هذا الاستعمال، فهو حافظةٌ لأشعار العرب راويةٌ لها، وبناءً على هذا نستطيع القولَ بإباحة هذا الاستعمال وإشاعته.

دخول (في) على (حيث):

واستعمل الفرزدق (حيث) في محلِّ جرٍّ بـ (في) في ثلاثة أبيات فقال:

1- وَجَدْنا قِلادَ اللُّؤْمِ حِلّاً لِطَيِّئٍ مُقارِنها في حيثُ باتَتْ وظَلَّتِ[61]

وقال:

2- لِقاؤكَ في حيثُ الْتَقَيْنَا وإنّما أطَعْتُ مَوَاثيقَ الْجَرِيِّ الْمُكَرَّرا[62]

وقال:

3- نَمَاهُ أبوهُ في حيثُ اسْتَقَرّتْ قُضاعَةُ فوقَ عادِيٍّ جَسِيمِ[63]

دخول حرف الجرّ (على) على (حيث):

وقد جاء دخول حرف الجرّ (على)، على حيث في استعمال الفرزدق في قوله:

1- طَلِيقَ أبي الأشبالِ أصبحَ جارُهُ على حيثُ لا يَدْنُو منَ الطَّوْدِ طائرُه[64]

وقال:

57 المصدر نفسه 31/2

58 المصدر نفسه 229/2.

59 المصدر نفسه 232/2.

60 المصدر نفسه 345/2.

61 المصدر نفسه 190/1.

62 المصدر نفسه 559/1.

63 المصدر نفسه 447/2.

64 المصدر نفسه 454/1.

2- ونحنُ ضَرَبْنا مِنْ شُتَيْرِ بنِ خالِدٍ على حيثُ تَسْتَقِيْهِ أُمُّ الجَماجِمِ[65]

ج – إضافةُ (حيثُ) إلى المفرد:

(حيث) من الظروف المبنيّة الملازمة للإضافة إلى الجملة الاسميّة، وقال صاحب المعجم الوافي: «والأحسنُ ألّا يكون الخبر فعلاً، نحو: أجلسُ حيثُ زيدٌ جالسٌ»[66].

وتُضافُ حيثُ إلى الجملةِ الفعليّةِ بكثرةٍ ، وإضافة حيث إلى الجملة اتفاقٌ بينَ العلماءِ سَرى.

ومَنعوا إضافتَها إلى الواحدِ، فقال ابنُ السَّرَّاج في ما مُنعَ الإضافةَ إلى الواحدِ وأُضيفَ إلى الجملة، فقال: « وذلك حيث، وإذْ، وإذا، فأمّا حيثُ فإنّ مِنَ العَرَب مَنْ يَبْنيها على الضَّمِّ، ومِنْهم مَنْ يبنيها على الفتحِ، ولم تَجئ إلّا مُضافَةً إلى جملةٍ نحو قولكَ: أقومُ حيثُ يقومُ زيدٌ، وأصلّي حيث يُصلّي، فالحركة التي في الثاء لالتقاء السّاكنيْنِ، فمَنْ فَتَحَ فمِنْ أجلِ الياءِ التي قبلها، وفتحَ استثقالاً للكسْرِ، ومَنْ ضَمَّ فَيُشبّهها بالغاياتِ؛ إذْ كانت لا تُضاف إلى واحدٍ..»[67].

وقال ابن يعيش:» ولا يُضاف إلى غير الجملة»[68],وقد جاءت حيث مضافةً إلى الواحد (المفرد) في بعض أشعار العرب واستشهدَ العلماءُ بقول الشاعر:

أَمَا تَرَى حيثُ سُهَيلٍ طالعا نجْماً يُضيءُ كالشّهاب لامعا[69]

فحيثُ هنا مضافةٌ إلى المفردِ و(سهيل) مضافٌ إليه وهذه الإضافة نادرةٌ على مذهب البصريينَ بينما أخذه الكوفيّون قياساً فأجازوا إضافة حيثُ إلى المفرد[70].

وروي البيتُ برفعِ سهيلٍ[71] وعلى هذه الرّواية فإنّ حيثُ مضافةٌ إلى الجملة فسهيلٌ مبتدأٌ وجملة المبتدأ مع خبره المحذوف في محلِّ جرٍّ مضاف إليه، وقال ابنُ هشامٍ:» ورأيتُ بخطّ

65 المصدر نفسه 2/ 569.

66 انظر الحمد, توفيق علي, والزعبي, يوسف جميل, المعجم الوافي في أدوات النحو، دار الأمل، ط2، 1414هـ-1993.ص: 148.

67 انظر ابن السّرّاج, الأصول في النحو, تحقيق عبد الخالق الفتلي، مؤسسة الرسالة.2/ 142.

68 انظر: ابن يعيش 90/4.

69 انظر: البغدادي 3/7.

70 المصدر نفسه 3/7.

71 المصدر نفسه 3/7.

الضّابطين: أما ترى حيثُ سهيلٍ طالعا... بفتح ثاء حيث وخفض سهيلٍ، وحيثُ بالضمّ وسهيلٌ بالرفعِ؛ أي موجودٌ فحذفَ الخبر»[72].

وقد استعمل الفرزدقُ حيث مضافةً إلى المفرد في مَوْضعين فقال:

– وكيفَ تُلاقي دارِمَاً حيثُ تلتقي * ذُرَاها إلى حيثُ النُّجومِ التّوائِمِ[73]

و قال:

ونَطْعَنُهُمْ حيثُ الْحُبَا بعد ضربهم * ببيضِ الْمَواضي حيثُ لَيِّ العَمائمِ[74]

ويبقى هذا الاستعمال نادراً وتبقى الشّواهدُ على هذا الاستعمال محدودةً وإنْ سُمِعَت، وهذان الشاهدان رُويا بالكسر والرفع, لذا إباحةُ هذا الاستعمالِ، تفتقرُ إلى ما يقوّيها.

ومن الملاحَظ في استعمال الفَرزدق لحيث أنّه لا يبالي بندرة هذا الاستعمال أو ذاك وهذه هي طبيعةُ الفرزدق ونفسيّتُه المُتَمَرِّدةُ التي تشطُّ عن المألوف, كيف لا وهو الذي حيّرَ علماء اللغةِ والنّحو, ولَمّا اعترضوا على بعضِ قولِه أجابَهم: « عليّ أنْ أقول وعليكم أنْ تَحْتَجّوا».[75]

الخاتمة:

استعمل الفرزدقُ حيثُ بصورٍ متنوّعةٍ فقد جاءتْ في شعره للمكانِ على ما هو شائعٌ وجاءت مجرورةً بحروف الجرّ (مِنْ، وإلى، والباء، وعلى، وفي)، بالإضافةِ إلى أنّه استعملَها مضافةً إلى الجملة والمفرد.

وجاءت حيثُ في كلام العرب على لغاتٍ؛ فقد وردت حوثُ على لغةِ طيّئٍ و جاءت حيث مُثلّثةَ الثاء، ومبنيّةً ومعربةً على خلافٍ بين العلماء.

وجاءت حيث للمكانِ وهذا ما اتّفق عليه العلماءُ إلّا أنّها جاءت دالّةً على الزّمان على استحياءٍ وضَعْف.

ونستطيعُ أنْ نخلصَ من البحث إلى النتائج الآتية:

1. استعمل الفرزدق حيث للمكان.

72 انظر ابن هشام, المغني 307/2.

73 انظر الفرزدق, الديوان 570/2.

74 الْحُبَا: جمع حُبوة: وهو أن يجمع الرجل ظهره وساقيه بعمامته، وقد يحتبي بيديه. و انظر ابن يعيش 92/4، و الموزعي 243، وانظر البغدادي 4/7.

75 انظر الفحّام, شاكر, الفرزدق, ص:456.

2. استعمل الفرزدق حيث مجرورة بحروف جرٍّ متعدّدةٍ من دون مبالاةٍ بندرةٍ أو قلّة.

3. إكثار الشاعر من الاستعمال يخرج استعمال حيث من حكم الندرة إلى الشيوع، والإباحة.

4. استعمل الفرزدق حيث مضافةً إلى الجملة وهذا ما اتفق عليه العلماء.

5. استعمل الفرزدق حيث مضافةً إلى المفرد. وهذا الاستعمالُ لايبرّر إضافة حيث إلى المفرد وإنْ سُمعتْ بعض روايات الأبيات المستشَهَد بها على هذه الإضافة.

وفي هذا الاستعمال الواسع لحيث دليلٌ على سعةِ اللغةِ العربيّة ومدى قُدرتِها على استيعاب الاحتمالات وكثرة الجوازات فيها ومرونتها.

المصادر والمراجع

1. الأندلسي, أبو حيّان, تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل عبد الموجود ومحمد عوض، دار الكتب العلمية, بيروت 1413هـ — 1993م.

2. البغدادي, عبد القادر, خزانة الأدب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ط5, القاهرة 1418هـ– 1997م.

3. الجوهري, إسماعيل بن حماد, الصحاح, تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين, ط3، بيروت 1304هـ 1984–م.

4. الجيش, ناظر,تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، تحقيق علي فاخر وآخرين، دار السلام، القاهرة 1428هـ — 2007م.

5. حسين، سرحان, قاموس الأدوات, مكتبة الإيمان, المنصورة 2007.

6. الحمد, توفيق علي, والزعبي, يوسف جميل, المعجم الوافي في أدوات النحو، دار الأمل، ط2، 1414هـ– 1993.

7. حمودة,فتحي بيومة, ما فات الإنصاف من مسائل الخلاف.د.ت.

8. ابن السّرّاج, الأصول في النحو, تحقيق عبدالخالق الفتلي، مؤسسة الرسالة.

9. سيبويه, كتاب سيبويه، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي, ط3, مصر 1408هـ– 1988م.

10. السيوطي, همع الهوامع، تحقيق أحمد شمس الدين, دار الكتب العلمية, بيروت 1418هـ – 1998م.

11. ابن عقيل, بهاء الدين, المساعد على تسهيل الفوائد، تحقيق محمد كامل بركات، دار الفكر, دمشق 1400هـ – 1980م.

12. العكبري، عبدالله بن الحسين، التبيان في إعراب القرآن, تحقيق علي البجاوي، عيسى البابي الحلبي، القاهرة.

13. الفرزدق، شرح ديوان الفرزدق, ضبط معانيه وشرحه إيليا الحاوي ، دار الكتاب اللبناني, بيروت 1983م.

14. قباوة, فخرالدين, إعراب الجمل وأشباه الجمل، دار القلم العربي, ط5, حلب 1409هـ، 1989.

15. المبرد, أبو العباس محمد بن يزيد, المقتضب، تحقيق عبد الخالق عضيمة, عالم الكتب.

16. الموزعي, نور الدين, مصابيح المغاني في حروف المعاني، تحقيق عائض العمري، دار المنار، القاهرة 1414هـ — 1993م.

17. الأنصاري, ابن هشام:

• أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.د.ت.

• مغني اللبيب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية 1411هـ-1991م.

18. ابن يعيش، شرح المفصّل, إدارة الطبعة المنيرية، مصر.